مجلة كلية الآداب

مجلة كلية الآداب، العدد **20**، ديسمبر 2025

DOI: 10.36602/faj.2025.n20.19

# الفنادق ودورها في الدولة الإسلامية خلال العصر الوسيط (دراسة تاريخية)

***محمد محمد المسعودي**

جامعة مصراتة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ليبيا

*mohamed.elmasoudi83@gmail.com

الاقتباس: المسعودي، محمد محمد. (2025). الفنادق دورها في الدولة الإسلامية. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة*. 20، 305-325. https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.19

تاريخ التقديم 2025-08-19 تاريخ القبول 2025-09-13 نشر إلكترونيا في 2025-09-17

**ملخص البحث :**

شهدت الدولة الإسلامية منذ البواكير الأولى الاهتمام بالنواحي الحضارية، متمثلة في عمارة المؤسسات المدنية لما لها من أبعاد على كافة الصعد داخل المجتمع الإسلامي، ومنها إنشاء الفنادق وتطويرها، وتهتم الدراسة بالخدمات التي تقدمها تلك المؤسسات بمختلف تسمياتها للمسافرين والتجار، وإبراز دور الوظائف المتعلقة بها، وتهدف الدراسة إلى معرفة المؤسسات الفندقية في عملية التواصل التجاري بين المسلمين أنفسهم وبين الغرب المسيحي، فقد ساهم هذا التواصل على تسهيل مهمة التجار وتنظيم التجارة داخل الدولة الإسلامية، فضلا عن انعكاساتها على الأبعاد الاجتماعية والثقافية والفكرية، وما يدل على نجاح هذه المؤسسة هو استمرارها في ظل الصراعات والتقلبات، اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على استنطاق النصوص وتحليلها للوصول إلى النتائج المرجوة ومن أبرزها أن مؤسسة الفنادق على اختلاف مسمياتها هي مؤسسة متوسطية لها روابط مشتركة بين الإقامة والتجارة ، كما أن كلمة فندق أو خان مجرد اختلاف في التسمية لكنها تحمل نفس الوظائف، وأصبحت من المعالم البارزة التي لها أبعاد اجتماعية بالتقاء الناس بمختلف ثقافاتهم وجنسياتهم، وهذا يعد أثر تاريخي في تكوين البيئة الحضارية بالمدن الإسلامية.

**الكلمات المفتاحية :** *الفنادق، خانات، الدولة الإسلامية، التواصل التجاري.*



هذا العمل مرخص بموجب **CC BY-4.0**

## 1. المقدمة

تُعد دراسة الفنادق من الموضوعات الحضارية في الدولة الإسلامية لما لها من تأثير على النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فضلا عن التنظيمات السياسية، وفي أول الأمر كان الفندق يدل على المكان الذي يأوي الناس، بعد ذلك أصبح مكانًا لإقامة التجارة والتجار.

وقد شهدت الدولة الإسلامية شرقًا وغربًا إقامة هذه المؤسسات على مختلف تسمياتها سواء داخل المدن أو على الطرقات ما بين المدن أو الدول، لتكون مأوى لإقامة المسافرين والتجار وطلاب العلم وتقديم الخدمات لهم، وبعدها تطور الأمر وأصبحت أماكن مشهورة بالتجارة يقصدها التجار المسلمين والمسيحيين الذين خصصت لهم فنادق وخانات أخذت اسم الجاليات التي سكنتها.

### 1.1 أهمية البحث:

دراسة الدور الذي تقوم به الفنادق وإيضاح العوامل المشتركة والمختلفة فيما بينها، ويهتم أيضًا بالغرض الأساس الذي أعدت لأجله وأنواع الأنشطة التي تمارس فيها.

### 2.1 إشكالية البحث:

تكمن في أن مصطلح الفندق يعني الإقامة والسكن والاستراحة أثناء التنقل، ولكن بمرور الوقت أصبح هناك أغراض أخرى تهتم بها هذه المؤسسة، ومن هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤلات التالية لمحاولة الإجابة عليها:

- البحث في سبب نشأة الفنادق ووظائفها.
- هل هناك مؤسسات أخرى تفي بنفس الغرض الذي يقدمه الفندق وإن حملت أسماء أخرى؟
- ما هو الدور الذي لعبته الفنادق في الدولة الإسلامية شرقًا وغربًا؟ وهل هناك اختلاف بينهما؟
- هل كانت الفنادق مؤسسة عامة تشرف عليها الدولة أم ممتلكات شخصية؟

وأمام هذه التساؤلات فإنها تقودنا إلى البحث لمعرفة الأهمية التي تقدمها الفنادق على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، والبحث أيضًا في طول عمر هذه التجهيزات وانتشارها في فترة مبكرة، ومع هذا لا تتناسب مع تراجع أهميتها في الفترة الحديثة، مما يعبر عن الهُوة التي كانت في الفترة الوسيطة وبداية العصور الحديثة.

### 3.1 هدف البحث:

توضيح الظروف وأدوات نقل الكلمات والأفكار، وهل كانت لا تنقل من مكان لآخر، أم أنها نقلت وتمت استعارتها وأقلمتها مع الشعوب التي وجدتها صالحة للاستعمال، وكما أنه من غير المرجح أن تستقل مؤسسة على قيد الحياة ولو في المنطقة نفسها وبخاصة في ظل التقلبات السياسية والثقافية إلا إذا كانت ملائمة.

ويهدف أيضًا إلى تبيين مسألة إقامة الرحالة، والتي تعد أهم نقطة مشتركة في العالم المتوسطي في موضوع الفنادق.

وعلى هذا الأساس قُسم البحث إلى المطالب التالية:

**أولا:** التعريف بالفنادق كمؤسسة للإقامة ومؤسسة تجارية.

**ثانيا:** الأهمية السياسية والاجتماعية والفكرية للفنادق والخانات.

**ثالثًا:** البعد الاقتصادي للفنادق والخانات

**رابعًا:** الوظائف الخدمية للفنادق.

### 1 .4 البعد الزماني والمكاني:

من الصعب تحديد تاريخ دقيق في دراسة الموضوعات الحضارية مثل الموضوع الذي نحن بصدده، كما أن دراسة الفنادق من الموضوعات الحضارية ويمكن أن تكون معقدة وشائكة، نظرا لتنوع واختلاف الفترات والعهود التاريخية والثقافات والبيئات التي أثرت وتأثرت بها، ويمكن أن تحدد الفترة الزمنية بالعهود الإسلامية المبكرة والعهود الإسلامية الوسطى، أما عن البعد المكاني فعني البحث بدراسة عدة نماذج في مختلف الأقطار والبلدان الإسلامية المتمثلة في أصفهان والعراق وبلاد الشام ومصر والبلاد المغاربية والأندلس، وجاء تأسيس هذه المؤسسات في فترات زمنية مختلفة وأحيانا تكون متباعدة، وكل ذلك مبين في متن البحث، ولهذا ارتأينا أن نوضح صعوبة تحديد فترة زمنية بعينها في دراسة ظاهرة حضارية.

## 2. منهجية البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على استنطاق النصوص والروايات التاريخية ومقارنتها وتحليلها لمحاولة الوصول إلى النتائج المرجوة.

## 3. التعريف بالفنادق كمؤسسة للإقامة ومؤسسة تجارية:

قبل الخوض في موضوع الفندق كمؤسسة للإقامة والتجارة وجب علينا التعريف بها وأنواع المؤسسات المكونة لها، وللتذكير ببعض النقاط التي تمكن القارئ من تتبع إيضاح تلك المؤسسة وما شابهها من مؤسسات أخرى تؤدي نفس الدور.

### 1.3 المعنى اللغوي والاصطلاحي للفنادق:

الفنادق جمع فندق وهي كلمة دخيلة على اللغة العربية أي معربة حسبما ذكر الأصمعي دون ذكر لأصلها (ابن منظور، 1993، ص313) والبعض أرجع الكلمة إلى الأصلي اليوناني مأخوذة من كلمة (Pandochai) أو (Pandokeion) (العنبسي، 1988، ص25) وهذان اللفظان يدلان على الإقبال والأخذ والاستيعاب، ويقودنا بالقول إن معناه مكان يستقبل الناس.

أما عن المعنى الاصطلاحي فيعني النزل والمنزل لكونه مخصصًا للمسافرين يستقبلهم ويأويهم حتى الانتهاء من قضاء حاجاتهم.

وكان ظهور الفنادق عند العرب وبخاصة عند الشعوب التي تمتهن المجال التجاري؛ بالغ القدم، وهذا ما نستنتجه من المعاجم اللغوية التي تبيّن أن الكلمة ظهرت في اللغة العربية منذ زمن مبكر، فقد ذكر الفرّاء (ت208هـ/823م) أنه "سمع أعرابيًا من قضاعة يقول فنتق للفندق وهو الخان" (ابن منظور، 1993، ص113) وهذا يؤكد أن اللفظ كان مستخدمًا في بواكير الإسلام الأول، وربما يكون استعمالها قبل ظهور الإسلام؛ وكما هو معلوم لنا وجود علاقات تجارية

بين العرب في شبه الجزيرة وبلاد الشام، كذلك المتاجرة مع بلدان شرق المتوسط بصفة عامّة.

وما يفسر دخول هذا المصطلح (الفندق) إلى اللغة العربية راجع إلى التأثير اليوناني على الثقافة العربية، حيث كان التجار العرب وغيرهم يأتون من أماكن بعيدة ويضطرون للاستراحة والإقامة في مأوى آمن يسمى الفندق وهي كلمة يونانية الأصل عربية اللفظ.

وفي هذا الصدد بيّن الفراهيدي تفسيرًا لكلمة فندق معتمدًا على لغة بلاد الشام، حيث يقول:" الفندق: خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن، بلغة الشام" (الفراهيدي، د.ت، ص261) ويوافق هذا التفسير ما جاء عند ابن منظور، ربما يكون قد نقل عنه(ابن منظور،1993، ص113) ونلاحظ أن الأخير لم يعط تفسيرًا لأصل الكلمة وإنما اعتمد في تفسيرها على لغة أهل الشام، كما أن بعض المعاجم الأجنبية من أمثال لاروس Larousse يرجع الكلمة إلى العربية وفي إشارة عابرة يقول أنها مأخوذة من اليونانية (Larousse, 1973, P112) ويقصد المكان الذي يقيم فيه التجار.

أما الفرنسي لويس دوماس جاء برأي مغاير عن الرأيين السابقين، وزعم أن الفندق كلمة عربية الأصل وتعني السوق أو المخزن والمكان المخصص لإقامة التجار الأوروبيين في البلدان الإسلامية (Latrie, 1886, P167) ويرجع هذا التفسير بسبب انتشار اللغة العربية وأن الكلمة دخلت إليها منذ القدم وأصبحت منتشرة في كافة أنحاء العالم، وزد على ذلك أن المعاهدات التجارية المبرمة بين الجانبين الإسلامي والمسيحي كانت بنص عربي، وهذا ما جعله يرجع بالكلمة إلى الأصل العربي.

وبالرغم من أن الكلمة غير عربية باعتراف أصحاب القواميس والمعاجم اللغوية إلا أنها لاقت شهرة واسعة وأصبحت عربية النطق خاصة في ميزان العلاقات والتواصل التجاري في العالم المتوسطي، وما يمكن قوله إذا ما سلمنا بأصل الكلمة إلى العربية فقد كانت أكثر تداولا واستعمالا في الغرب الإسلامي والأندلس منها في بلدان المشرق، حيث استخدموا عدة تسميات إلى جانب تسمية الفندق مثل الخان ووكالة وغيرها.

وعلى أي حال فإن الفنادق تدل على المكان المخصص للسكن والإقامة يتكون من عدة طوابق، فيه عدد من الغرف، وبه صحن داخلي لتخزين البضائع، ومبيت للدواب وله حرس (ماجد، 1964، ص124) وكما أن الفندق مكان لنزول التجار ومخزن لحفظ بضائعهم (المقريزي، د.ت، ص93).

وكان في معظم الفنادق أسواق ودكاكين وحوانيت، بنيت لعرض السلع من أجل بيعها، أو إرسالها إلى الأسواق المجاورة، وكانت هذه الحوانيت في الطابق الأرضي ومساكن للتجار تقام فوقها (الضلاعين، 2012، ص74).

وإضافة إلى كونه محلا للمبيت والاتجار فقد كثرت فيها الصلاحيات، حيث وجدت كنيسة لتأدية العبادات والشعائر الدينية والاحتفالات في الأعياد والمناسبات الدينية عند

الطائفة المسيحية، ومكان لتجهيز الطعام للتجار والمسافرين، وكذلك حانة لبيع الخمور، وكل ذلك بجوار الفندق في ساحة واسعة كمكان مشترك بينهم، وقد يتحول في بعض الأحيان إلى سوق إذا اقتضت الحاجة لذلك (جبار، د.ت، ص41).

**الخانات:** كلمة أصلها فارسي تعني محل الإقامة (سليمان،1979، ص146) ويتكون الخان فيمن طابقين، الأرضي مخزن للبضائع والأول استخدم كفندق للمبيت (ماجد، 1964، ص124).

وأقيمت الخانات في الأسواق الرئيسة وعلى الطرق التجارية كأماكن لإقامة التجار وحفظ بضائعهم (الضلاعين، 2012، ص75) فالخان يمكن أن يقع خارج المدن، فيكون في الطرقات التي تربط بينها داخل الإقليم الواحد أو بينها وبين الأقاليم الأخرى.

**الوكالات:** تشبه الفندق بنظامها إلا أنها كانت مخصصة لاستقبال التجار الوافدين إليها، بينما كانت الفنادق مخصصة لنزول التجار الأجانب القادمين من الغرب الأوروبي (ماجد، 1964، ص124) والناحية الثانية أن ملكيتها تنتقل من أصحابها لأبنائهم بعد وفاتهم، في حين الفنادق ملكًا لعامة للدولة وليس ملكًا خاصًّا لفرد أو مجموعة أفراد (المقريزي، د.ت، ص86-94) وكان أكثر تواجد للوكالات في بلدان المشرق، وكل وكالة تختص في تجارة معينة، ومن أمثال تلك الوكالات: وكالة البلح ووكالة الغوري وغيرها في مصر (جبار، 2010، ص81).

وإلى تشابه المؤسسات سالفة الذكر، حيث أنها تؤدي نفس الغرض تقريبًا، فقد ذكر المقريزي :" أن الوكالة في معناها كالفنادق والخانات" (المقريزي، د.ت، ص89) وبذلك نقول أن هذه المؤسسات تؤدي نفس الوظيفة باختلاف تسمياتها، على حسب الإقليم ففي المشرق كانت مستخدمة أكثر من كلمة فندق، وهذا ما يفهم من كلام ابن منظور، على الرغم من وجود بعض الاختلافات فيما بينها، كما يلاحظ المقريزي أنه جمع بين التسميات الثلاثة بوظيفة واحدة، ويمكن أن نفسر ذلك بأن الوكالة تأتي بمعنى الفندق والخان فهي متمثلة في دورها التجاري من حيث استقبال التجار وبضائعهم وتنظيم عملية البيع والشراء، غير أن الوكالة غير مخصصة للمبيت ولا يقيم بها التجار الأجانب، وبهذا يمكن القول بأن مؤرخي العصور الوسطى من العرب لم يفرقوا بين هذه المؤسسات إذ لم يجدوا بينها فروقًا واضحة، بل وجدوها متشابهة من حيث التصميم والوظيفة التي تؤديها للمسافرين والتجار.

**نشأة الفنادق والخانات ووظائفها:**

نجد أن الإنسان منذ أن اضطر إلى التنقل من مكان إلى آخر لكثير من الأسباب، أحيانًا يصعب عليه الرجوع إلى بيته في اليوم نفسه، فكان يلجأ إلى الملاجئ للنوم فيها، ثم أخذت بالتطور في تقديم خدمات إضافية للمسافرين كالأكل والشرب، وسميت الملاجئ خان بالفارسية، ثم فندق، ولا زالت هذه التسمية إلى اليوم تعني كل مكان

يستقبل الناس للإقامة بغض النظر عن الخدمات التي يقدمها (برهان، 1986، ص87).

ونتيجة لتوسع رقعة الدولة الإسلامية وامتداد حدودها شرقًا وغربًا في زمن الدولة الأموية، فكان من أولويات السلطة الإسلامية بناء الخانات، كما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م) حيث أمر ببنائها في طريق خراسان (ابن سعد، 1990، ص266) وبداية أمرها كان بسيطا ثم ازداد الاهتمام بها بسبب التجارة والتواصل والأسفار شرقًا وغربًا، وبقي الاهتمام ببنائها والحاجة إليها نتيجة العلاقات التجارية بين مختلف الأقطار سواء الإسلامية مع بعضها أو مع الجانب الأوروبي. أخذت هذه الفنادق في الانتشار منذ بواكير الفترة الإسلامية، وكان أكثر من تردد عليها هم التجار، كما أصبحت منشأة الفنادق والهيئات التجارية في أسواق الدولة الإسلامية عاملا في الحركة التجارية، فقد ساهمت في تنشيط الحركة التجارية والعمل على تسهيل مهمة التجار وتنظيم أمورهم (الضلاعين،2012، ص74).

إلى جانب ذلك فإنها كانت متعددة الصلاحيات احتوت على عدد من الأروقة النفعية المتمثل في جناح لسكن التجار وآخر لتخزين السلع والبضائع، بالإضافة إلى وجود قنصل يقوم بتنظيم وتسيير الفندق أو الخان وقضاء كل ما يلزم لصالح النزلاء المقيمين به (جبار،2010، ص82).

## 4. الأهمية السياسية والاجتماعية والفكرية للفنادق والخانات:

للفنادق والخانات أهمية كبيرة في الحضارة الإسلامية لما تقدمه من أعمال ووظائف على كافة الأصعدة في البلدان والأقاليم الإسلامية وانعكاساتها على مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفنادق كانت تخضع إلى إشراف ورقابة الدولة منذ القرن الأول والثاني الهجريين / السابع والثامن الميلاديين، وهذا ما يفهم من نص افّيتس في كتابه بطارقة الإسكندرية، إذ يقول:" بعث الخليفة الأموي الوليد، أسامة وليًّا جديدًا إلى الفسطاط سنة 714 فلما وصل التمس علام جميع الكور وكتبها بالعربي، وكان مقيمًا على فعله السوء، وكان المسلمون والنصارى خائفين منه، ثم تقدم أن لا يؤوي أحدًا غريبًا في البيع أو في الفنادق ... وكانوا خائفين منه واطردوا من مكان عندهم من الغرباء"(افّيتس، د.ت، ص67.68) والمقصود من النص هو إبراز أفعال السوء التي يقوم بها أسامة – الوالي الجديد – وهذه من وجهة نظر قبطية، كما أنه لم يراع الغرباء المقيمين في الفندق ومنعهم من البيع وطردهم، ومن المرجح أن الدولة الأموية كانت تطلق على غير العرب بالغريب، كما أن أفيتس كان متعصبًا ضد العرب، حيث جمع في كلامه بين قصة تعريب الدواوين التي كانت بالقبطية وبين الأفعال التي قام بها أسامة اتجاه النصارى، ولم يفصح عن تلك الأفعال، ربما كانت الظروف المحيطة به تحول دون تدوينها.

ومن جهة أخرى يمكن أن يفهم أنهم كانوا يتهربون من دفع الضرائب على بضائعهم، وهذا يفسر لنا دور الدولة في

تتبع الحركة التجارية في الفنادق وأخذ الجباية من التجار، وبذلك تصبح سلطة الوالي هي المسيطرة على الفندق ومن يقيم فيه من التجار، زد على ذلك أن الدولة كانت على علاقة مباشرة بالفندق، فقد وصف ابن دقماق:" أن ولاة مصر الأوائل كانوا ينزلون بفندق ابن حرمه مقرًا لإقامتهم الرسمية" (ابن دقماق، د.ت، ص40).

وبذلك بات الترابط واضحًا بين الدولة والفندق ونزلائه من التجار، ولم تقتصر الإقامة في الفنادق على الولاة فحسب، بل إن بعض الخلفاء نزلوا في أوقات سفرهم في الفنادق أيضًا، فقد نزل الخليفة العباسي المعتضد بفندق الحسين قرب مدينة الأسكندرونة سنة (287هـ/900م) أثناء تفقده لأحوال الثغور والمدن الشامية (ابن كثير،1980،ص635) كما اهتم الخلفاء بتشييد الفنادق، حيث كانت تابعة لإدارة الدولة، وقد اشتهر الخليفة المستنصر بالله ببنائه للفنادق (ت640هـ/1242م) (ابن كثير، 1980، ص186) وكان هذا الاهتمام متمثلا في المصلحة النفعية لما تجبيه من ضرائب عائدة في خزينة الدولة وهو يمثل مركزًا مهمًّا لها.

وممن اشتهر أيضًا ببنائها الأمير نور الدين محمود، فقد أورد أبو شامة أن نور الدين محمود: " بنى الخانات في الطرق فأمن الناس وحفظت أموالهم وباتوا في الشتاء في كن من البرد والمطر" (أبو شامة،1997، ص12) وهذا ما يدل على اهتمام الخلفاء والأمراء برعاياهم وتوفير ما يلزم من لزوم الترحال والأسفار.

كما كان لهذه المؤسسات دور من الناحية الاجتماعية تكمن في كونها مأوى للمسافرين تقيهم من حرارة الصيف أو برد الشتاء، وهذا ما أورده سعدان بن يزيد- وهو من علماء القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي – أنه اضطر إلى النزول بأحد الخانات في ليلة شاتية فيها رعد وبرق وذلك عام (262هـ/876م) فوجد الخان حجزت جميع غرفه وأسرّته نتيجة البرد الشديد (ابن الجوزي،1992، ص39) وهذا ما يدل على كثرة الأعداد والإقبال الكبير من قِبل المسافرين، ويتضح أيضًا أن تاريخ تلك المؤسسات كان معروفًا وأساسًا يلجؤون إليه عند الضرورة.

وإلى جانب ذلك كانت تلك المنشآت تستقبل طلاب العلم والعلماء، ومهيأة بالإمكانيات التي تمكن طلبة العلم من الدراسة فيها دون حدوث ضوضاء، فكانت تخصص لهم غرف خاصة بهم، قال ابن عساكر أن:" أبا عمر الصغير قال: نزلنا بعض الخانات بدمشق قرب القصر فصلينا العصر ونحن على أن نبكر إلى أحمد بن عمير، فإذا الخاني آت يقول: أين أبو علي الحافظ فقلت: هاهنا، فقال: قد حضره الشيخ زائرًا... وصعد إلى الغرفة التي نزلنا فيها... وأخذ في المذاكرة معه"(ابن عساكر، 1995، ص115).

ويُعد وجود مثل هذه الخانات والفنادق عاملا مساعدًا لطلبة العلم للذهاب إلى أي قطر من أقطار البلدان الإسلامية، فعلامة الأندلس بقي بن مخلد قد أتى إلى بغداد ليتعلم الحديث من الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله- ولما

علم أن الوقت قد يطول أجّر غرفة في أحد فنادقها (الذهبي،1985، ص291-293).

ومما تقدم يمكن القول بأن الفندق قد جمع المسافرين وطلاب العلم من مختلف الأقطار لتبادل المعارف والأفكار، منذ فترة مبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أهمية البعد الاجتماعي الذي راعته تلك الحضارة في الاهتمام بالجانبين المادي والمعنوي.

**دور الفنادق للسوق والتجارة وانتشارها:**

أخذت الفنادق والخانات في التوسع والانتشار في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية شرقًا وغربًا، فبعد أن ازدهرت الحركة التجارية مع الغرب المسيحي بصفة خاصة، بدأ الاهتمام بها لما لها من أهمية نفعية على الدولة كجباية الضرائب، فقد زاد الاهتمام أكثر بعد أن بدأت العلاقات والتواصل التجاري بينهم وبين المسحيين في الغرب الأوروبي حتى قبل وصول الأخير إلى بلاد الشام (الطشاني، 2012، ص48) ونتيجة لذلك ولكثرة التجار وجب توفير فنادق خاصة بهم، بالإضافة إلى تخصيص مخازن للبضائع، وكما تحصلوا على امتيازات تسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية(فهمي،1973، ص294) وهذا يعطي انطباعًا عن التسامح الديني في زمن الحروب والصراعات.

ومن الامتيازات أيضًا تعيين رئيس يعرف ب"الفنداقي" من الجالية المقيمة بالفندق والذي يتولى الإشراف والاهتمام بما يخص التجار أمام السلطة الحاكمة (البراوي، 1958، ص27).

ومن هذا المنطلق قد أخذ عدد الفنادق في ازدياد داخل الدولة الإسلامية، ومن هذه المدن التي كثرت فيها الفنادق هي مدينة أصفهان، فعدد الرحالة الفرنسي سيمون فنادق أصفهان التي زارها سنة (1084هـ/1673م) بألف وستمائة فندق (ديورنت،2012، ص498). ومدينة قرطبة الأندلسية التي بلغ عدد فنادقها وخاناتها ألفًا وستمائة، وذلك في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي (كنستيل، 2002، ص188) ومدينة المرية احتوت على تسعمائة وسبعين فندقًا، وفي العهد المرابطي وصل عدد الفنادق إلى تسعمائة وسبعين فندقًا (الإدريسي،1823، ص197. 198) وهذا إن دل على شيء فإنما دل على كثرة النزلاء والقاصدين لتلك المدن.

وقد دون الرحالة راي ميشولام عند زيارته للإسكندرية وجود أربعة فنادق بها، كل منها مخصص للجالية المقيمة بها من أمثال الفرنسيين والجنويين والبنادقة (مصطفى، 2021، ص81. 82) هذا ما رآه ميشولام وسجله ولكن وجد عدد من الفنادق الأخرى في الإسكندرية للتجار والنزلاء، مثل النابوليين والكريتيين والقطلانيين وغيرهم (لبيب، 1986، ص292 وبعدها) وفي عهد المماليك كثرت الفنادق في مصر خاصة في المدن الساحلية وأصبح لكل جالية فندقًا يحمل اسمها لا تقبل نزلاء غير بني جلدتهم (مصطفى، 2021، ص81. 82).

وأما عن المغرب فقد اشتملت على عدد كبير أيضًا، فوصل عدد الفنادق في مدينة سبتة إلى ثلاثمائة وستين فندقا،

خصص سبع منها للتجار المسيحيين، ومدينة فاس احتوت على عدد غير قليل خاص بالتجارة والتجار القاصدين إليها من مختلف البلدان (البياتي، 2004، ص77) وهذا ما يعكس الأهمية السياسية والاقتصادية لبلاد المغرب، إضافة إلى الموقع الجغرافي المتميز الذي حظيت به.

وفي إشارة لابن عذاري عن كثرة الفنادق وبعض المشاكل التي كانت تحدث بها، وتصدي الدولة لبعض الأعمال التي كانت مخالفة للآداب العامة، حيث اضطر بعض الأمراء من الدولة الأموية إلى هدم بعضها، ففي سنة (206هـ/821م) أمر هشام الربضي بهدم بعض الفنادق لما نتج عنها من ضرر أخلاقي في المجتمع (ابن عذاري، 1983، ص77).

## 5. البعد الاقتصادي للفنادق:

كما تطرقنا سابقًا إلى دور الفنادق وأهميتها، فهي تعد من المكونات الرئيسة في التأسيس التجاري كما كانت لها تأثيرات وانعكاسات اقتصادية داخل البلدان الإسلامية.

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا بماذا يوحي العدد الكبير للفنادق داخل الدولة الإسلامية؟ وما هي الانعكاسات الإيجابية على الدولة؟ وما هدف تخصيص فنادق خاصة بالجاليات الأجنبية؟ وكل ذلك حصل في ظل الصراعات والحروب ما بين المسيحيين والمسلمين، والمجيء إلى أراضي المسلمين والبقاء بها فترة غير قليلة، وللإجابة على ذلك، وبالإشارة إلى طبيعة العلاقات الاقتصادية ما بين الجانبين الغرب الأوروبي والدولة الإسلامية، حتى دعت اهتمام الأخير بهذه المؤسسات الفندقية؛ ومن جهة أخرى فإن اهتمام الغرب الأوروبي ببضائع التجار المسلمين وشرائها وشحنها إلى بلدانهم، كالفخار المغطى بالزجاج الذي اعتبر عندهم كتحفة أثرية، وكيف بدأ الغربيون في تقليده وصناعته، وأصبحت متوفرة بكثرة في بلدانهم، بعد أن كانت نادرة (ديوفيسيوس وريتشارد، 2009، ص17).

وما هو جدير بالذكر، فإن التواصل التجاري بين الجانبين الإسلامي والغرب الأوروبي قد لاقى رواجًا إلى حد كبير وكان له تأثير من الناحية الفكرية، وما تطلعنا عليه أحد تقارير المسيحيين التجار داخل الفنادق والخانات كمحاولة (رامون لول المايوركي) لإقناع المسلمين وإدخالهم المسيحية (ديوفيسيوس وريتشارد، 2009، ص17) وهذا نتيجة لانعكاس الثقافة التجارية على الجانب الديني، ومن جهة أخرى فإن الاتصال والتواصل بين كل الأطراف الإسلامي والمسيحي واليهودي كان مستمرا خصوصًا في الجانب التجاري متخطيًا جميع القواسم الدينية، وبالفعل قام التجار المسيحيين من مختلف الدول داخل البلدان الإسلامية، وثم تخصيص فنادق لهم وخانات عرفت بأسمائهم كما بيّنا ذلك سابقًا.

وعليه فإن التجارة لم تتوقف وازدهرت، فمن الملاحظ أن التجار المسيحيين لهم دور في الاتجار مع الأقاليم الإسلامية التي كانت تحت سيطرتهم إبان الحروب الصليبية، وعملوا على تنفيذ شبكات تجارية لنقل بضائعهم والإتجار بها داخل المدن الإسلامية – أي بمثابة الوسيط بين الطرفين- (الطشاني،2012، ص48) فانصب تركيزهم على الموانئ

والمرافئ في البلاد الشامية وذلك لشحن البضائع من وإلى الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، وأمام هذا التواصل بين الطرفين زادت الحركة التجارية في بلاد الشام، كما سمح للتجار الأوروبيين بالنزول والإقامة داخل فنادقها، وحفظ بضائعهم وحماية ممتلكاتهم، بالإضافة إلى إقامة شعائرهم الدينية (فهمي،1973، ص294).

وإضافة إلى ما تقدم فقد زادت الامتيازات التي منحت لهم حتى إن بعضًا من حكام المسلمين قد بالغوا في تقديم الخدمات للتجار الأوروبيين، مثل بناء المخابز والمخازن الخاصة بهم وحفر خزانات للمياه وسمح أيضًا بجلب الخنازير وتربيتها في محيط الفندق والخان، وفتح خانات لشرب الخمور (لبيب، 1986، ص389).

ووجد التجار المسيحيون راحة كاملة داخل الفنادق واستأنسوا بالمسلمين، فبعد أن كانوا لا يخرجون من فنادقهم إلا لوقت الاتجار أصبح لهم حق الخروج من الفنادق، حيث أعطيت لهم منازل قريبة من الكنائس، وهذا ما يفهم من نص الهدنة الموقع ما بين السلطان منصور قلاوون وحكام المسيحيين لمدينة عكا سنة (682هـ/1283م) التي تفيد بأن يخصص عدد من البيوت القريبة لكنيسة الناصرة وذلك لمن أراد زيارتها من المسيحيين، في إشارة إلى تأمينهم وطمأنتهم (القلقشندي، 1987، ص73) وقد اهتمت السلطة في بلاد الشام ببناء فنادق مجهزة بالكنائس، ولكل جالية كنيسة خاصة بهم، مثل البيزيين لهم كنيسة نيقولا، والجنويين كنيسة ماريا، والبنادقة كنيسة ميشيل، وكل هذا كان في العهد الأيوبي في البند الخاص بمنح الامتيازات للتجار المسيحيين سنة(636هـ/1238م) (حياوي، 2008، ص4).

وبعد أن تطورت العلاقات بين الطرفين وأخذت في الانتعاش –بخاصة في العهد الأيوبي– منح للقناصل الممثلين عن الجاليات الأجنبية في الفنادق إمكانية مقابلة السلطان أو الحاكم نفسه، وذلك حسب ما نصّت عليه بنود المعاهدات الموقعة بينهما، وتقديم معلومات عن المؤسسة الفندقية وطلب الامتيازات للجالية الممثلين لها، ورفع الشكاوى عن أي ضرر واعتداء يتعرضون له، مع المطالبة لتحسين أوضاعهم (Heyde,1936, P411).

وعليه فإن بعض هذه الفنادق في مدينة دمشق والمدن القريبة منها تحولت إلى خانات مستقلة بذاتها، مثل خان يونس نسبة إلى يونس الدودار (ابن حزم، 1959، ص261) وخان البطيخ بالقرب من مسجد بليغاء، ومن الخانات التي أنشأت خارج دمشق على سبيل المثال خان الشيخ، وخان منوى والفستقة (للاستزادة عن ذلك ينظر: ابن عساكر،1995، ص381).

وما يمكن التنويه إليه، بعد سيطرة المسيحيين على بلاد الشام، تمتعت عدة مدن إيطالية بامتيازات نتيجة لما قدّموه من مساعدات للسيطرة على بلاد الشام، فأصبحت لتلك المدن حرية التنقل التجاري داخل المدن والأقاليم الشامية، بالإضافة إلى إعفائهم من الضريبة الجمركية (حياوي، 2008، ص5).

وما يؤكد ما ذكرناه سابقًا بازدياد الحركة التجارية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي وقت الحروب الصليبية، وأن التواصل بقي مستمرًا رغم كل الظروف الصعبة، في المقابل فإن الأمر يتطلب توفير سلع وبضائع أساسية بين الجانبين، فقال عن ذلك ابن جبير:" كانت قوافل المسلمين تخرج من بلاد الإفرنج وسبيهم يدخل بلاد المسلمين" (ابن جبير، د.ت، ص245) ويتبيّن من النص أنه لا أحد من المسلمين يمنع النصارى أو يعترض طريقهم، في مقابل أن يدفع الأخير ضريبة للمسلمين وذلك لحمايتهم، وشبّه عملية التواصل التجاري بين الطرفين بالملتقى الكبير الذي اجتمع فيه من مختلف الدول والأمصار .

وكان النصيب الأكبر من العمليات التجارية في يد تجار البندقية والجنويين والبيازنة، فقد هيأت لهم الظروف بعد أن ملكوا فنادق خاصة بهم داخل المدن الشامية، مثل صور وبيروت ويافا وغيرها، وعاشوا مستقلين بذاتهم لا يختلطون إلا فيما يخص عملياتهم التجارية (حياوي، 2008، ص2).

وأمام ازدهار هذا التواصل التجاري في الشرق الإسلامي عامة والمدن الشامية على وجه الخصوص، فنتج عن ذلك فتح الأمصار والأقطار، ففي زمن الأيوبيين قد سمح لتجار المدن الإيطالية بالنزول والإقامة في الفنادق الإسلامية في بلاد الشام (P.304 Condor, 1879,).

ومما تقدم يمكن القول بأن الروابط الاقتصادية قد أثرت في دعم أواصر واستقرار العلاقة السلمية بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الشام، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها سيطرة التجار الإيطاليين على الموانئ في البلدان الشامية، فأصبحت تجارة البحر المتوسط تحت سيطرة مدن البندقية وجنوه وبيزا، إلى جانب حصول الجاليات التابعة لهم على عدة امتيازات الأمر الذي عاد بالنفع على الحكام المسلمين آنذاك، وذلك من خلال توقيع المعاهدات بين الطرفين لضمان عدم انقطاع مصادر النفع (حياوي، 2008،ص8) وهذا ما يفسر خطوة استمرار التواصل التجاري ومجيء القوافل إلى بلاد الشام وإعطاء الامتيازات والحرية التامة للذهاب والعودة في مختلف البلدان.

ومن هذا المنطلق شجعت التجارة تجار الغرب على السفر إلى البلدان الإسلامية والإقامة بها، وأصبح لكل جالية فندقًا خاصًّا بهم، فكان هناك فندق للجنويين وفندق البنادقة وفندق الفلورنسيين وفندق القضلانيين، إلى جانب ذلك عد الفندق بيتًا خاصًّا بالأمة التابع لها وسوقًا لسلعتها، كما عرف كل فندق بنوع السلع التي يختص بها، فهناك سوق للزيت والبز والغزل والعطارة والخضر واللحم وغيرها (مصطفى، 1996، ص70).

وفي هذا الصدد وصف ابن حوقل دور الفنادق والخانات في نيسابور سنة (359هـ/970م)، بقوله:" فيها خانات وفنادق يسكنها التجار بتجاراتهم، وفيها الخانبارات للبيع والشراء، فيقصد كل فندق يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة...وغير فندق فيه الحوانيت والحُجُر المملوءة بهم وكذلك الأساكفة والخرازون والحبّالون إلى غير ذلك في أصناف أسواقهم الفنادق المملوءة بذوي الصنائع منهم، وأما

فندق البزازين وخاناراتهم بها وبيعها فيها وشراهم، فأكثر البلدان يشاركهم فيها ولا يقصّر عنهم"(ابن حوقل، 1938، ص432 .433).

يتضح مما أورده ابن حوقل أنه قد فصّل وفرّق بين الخانات والفنادق، ويمكن القول بأنه قد حدد الفندق القائم في المدينة والخان الخارج عنها، بعكس الجغرافيين الذين جمعوا بينها واعتبروها واحدة كما وضّحنا سابقًا، كما ذكر الخانارات وهي تعني المخزن الكبير يسمى خانبار وجمعها خانبارات، كما بيّن أن لكل فندق كان يختص بشيء معين من السلع، ويفيد النص أيضًا بأن الفنادق والخانات بها مكان مخصص للإقامة ومكان للتجارة وأنها غير قاصرة على الأغنياء، بل حتى على متوسطي الحال، ووضح بوجود محلات توفر لأصحاب الحرف ما ينقصهم، إضافة لذلك أن كل حرفة مخصصة بفندق معين، كما يلاحظ وجود تميز وتنافس بين الفنادق وخصوصًا فندق البزازين.

وبما أن الفنادق منشأة تجارية تقام فيها الأسواق إلا أنها تختلف عن الأسواق الخارجية من حيث الأسعار واحتكار السلع وتخزينها، لذلك يذكر الونشريسي في فتاواه بكتابه المعيار في القرن التاسع الهجري " على صاحب السوق أن يأمر البدوين إذ أتوا بالطعام ليبيعوه فلا يتركوه في الدور والفنادق وألا يبيعوه في الفنادق ولا في الدور وأن يخرجوه إلى أسواق المسلمين حيث يدركه الضعيف والعجوز الكبير...حتى وإن اعترض البائع على أن ذلك يخفض بضاعته ويطيل مدة مكوثه في المدينة"(الونشريسي في فتاواه بكتابه المعيار).

يتضح من النص كيفية قيام البدو –ربما يقصد سكان القرى– بتسويق سلعهم في الحواضر، فيأتون بالسلع والطعام وغير ذلك من منتجات القرية وينزلون بفنادق الحاضرة لبيعها هناك بسعر أعلى، فكان صاحب السوق يأمرهم بإخراج بضائعهم إلى الأسواق العامة حتى يستطيع الفقير والعجوز ونحوه من الحصول على السلعة بسعر أقل، ومن جهة أخرى يشير النص إلى وجود ظاهرة احتكار السلع، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار والإضرار بالناس، كما أن الفنادق غير مفتوحة للجميع بعكس السوق الذي يلتقي فيه عموم الناس.

وبالرجوع إلى فنادق الأوروبيين في مصر التي تعتبر بوابة المشرق واختصت بالتجار القطلانيين والبردقال وأفرانس والجنويين والبنادقة ...إلخ، ومن غير التجار المسلمين، وقد فرض على هؤلاء إغلاق فنادقهم يوم الجمعة حتى تنتهي الصلاة(مصطفى،2021، ص183) ربما يرجع هذا إلى استقرار المسيحيين في جزر البحر المتوسط بعد أن فشلت الحرب الصليبية بالقضاء على آخر معاقلهم سنة (690هـ/1291م)، فقد استولوا على تلك الجزر، قبرص ورودس، فخوفًا من أن يعيدوا الكرة في الهجوم على مصر من مدينة الإسكندرية، ومساعدة المسيحيين المقيمين بها، اتخذت الإجراءات بإغلاق الفنادق تحسبًا لأي طارئ، زد على ذلك أن بعض الحملات كانت يوم الجمعة مثل حملة

بطرس لوزيان (767هـ/1365م) إذن فإغلاق الفنادق له ما يبرره.

وعلى أية حال، فالإسكندرية تُعد المأوى المناسب للنزلاء الغربيين فقد توفرت لهم كافة احتياجاتهم المادية بالإضافة إلى تمتعهم بممارسة طقوسهم الدينية، كما ازدهرت فيها الحركة التجارية وأصبحت سوقا عالميًا يأتي إليها التجار من جميع الأمصار؛ لهذا بنيت الفنادق والمؤسسات التجارية (مصطفى، 2021،ص184) بينما كانت القاهرة مكانًا لعبور بضائع الشرق والغرب الأوروبي، وعُرفت أيضًا بكثرة الفنادق والخانات، فكانت موزعة على طول الطريق، وضمت داخلها عددًا كبيرًا من المخازن، وأخذت شهرة واسعة لدى المسافرين والقاصدين المدينة، كما كانت تتمتع بالحماية خوفًا من التعدي على النزلاء أثناء الحروب والصراعات، وكل ذلك دافع لتشجيع التجار على ممارسة تجارتهم وحماية بضائعهم (حياوي، 2008، ص10) وتحقيق الانتعاش الاقتصادي الذي كان من أولوياته حماية القوافل والطرق التجارية.

وهناك بعض الخانات كانت الإقامة فيها مجانية لوقوعها وسط المدينة، وخانات وفنادق أخرى خصصت للتجار الشاميين، مثل خان أو وكالة (قوصون) لتخزين بضائعهم مثل الزيت والصابون واللوز والخروب ...إلخ، وكما عرف فندق باسم (دار التفاح) وهو أشبه بسوق كبير للفواكه (عاشور، 1963،ص179-187) وسجل المقريزي عدد هذه المؤسسات بخمس وستين مؤسسة، مقسمة إلى سبع وثلاثين قيسارية، وتسعة عشر فندقًا، وأحد عشر خانًا، وثلاث وكالات(المقريزي،1997، ص86-94) ويلحظ أن المقريزي قد فرّق في تسمية هذه المؤسسات وعددها، كما وضّح اختصاص كل من هذه المنشآت في العمليات التجارية .

وما تجدر الإشارة إليه أن المسيحيين في عهد دولة الأيوبيين والمماليك لم يكن لهم فنادق وكنيسة خاصة بهم، وقد حاولوا الحصول على تصريح لهم ولكن دون جدوى، كما أنهم حرّم عليهم الاتجار بسلع الكارم القادمة من الهند إلى القاهرة (Heyde,1936,P308) لأن هذه السلعة أصبحت حكرًا على المسلمين بعد أن كانت تحت سيطرة اليهود، لما لها من مردود اقتصادي على المماليك بالإضافة إلى سيطرت الأخير على البحر الأحمر خوفًا من قرصنة السفن الإسلامية من قِبل المسيحيين، كما فرضت عليهم السلطات بين الفينة والأخرى مرسومًا يمنع تجولهم داخل الأحياء والمدن، فكانت تنقلاتهم خارج القاهرة، خوفًا وتحسبًا من أي طارئ تسببه الجاليات الأوروبية مناصرة لبني جلدتهم في الحروب والصراعات الدائرة آنذاك.

**الفنادق في المغرب الإسلامي والأندلس**

كانت الدول التي تربطها علاقات بالسلطة الحاكمة تمتلك الفنادق، خاصة في المدن الساحلية، مثل طرابلس والمهدية وتونس وقابس وصفاقص وغيرها (الحميري،1980، ص562) وكان وقوع تلك الفنادق خارج المدن وملاصقة لبعضها، فقد ذكر الرحالة أدورن Adorne عند زيارته

لتونس في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فنادق البنادقة والجنويين والفلورنسيين والقطلانيين (جبار، 2010، ص84. 85) وكان كل فندق مستقل تمامًا عن الفنادق الأخرى، وتكوّن من عدة مبان، ولكل منها باب واحد مطوق بالحراسة، كما خضع النزلاء لأوامر القنصل، وتوسطت هذه الفنادق كنائس لأداء شعائرهم الدينية (Latrie,1886,P137).

وخوفًا من انتقال الصراعات القائمة ما بين دول الغرب الأوروبي إلى الجاليات المقيمة في الفنادق بالمغرب الإسلامي مثل تونس التي كانت في العهد الحفصي تربطها معاهدات مع تلك الدول، فكان اتخاذ الإجراءات ضروريًا والحذر من أي عارض داخل الفنادق، وعملوا على منع الأجانب من دخولها إلا بترخيص خاص، ومن جهة أخرى كانت صفقات البيع والشراء والمنافسة بين التجار تجعل فئة منهم تحيط الفندق بسرية تامة بكل ما يحتويه من سلع وبضائع، وبالرغم من وجود بعض المشاكل التي تحدث أحيانًا نتيجة إلغاء أي عملية بيع تمت بين الأطراف بسبب تدخل طرف آخر يفسد عملية الشراء(جبار،2010،ص85).

وبهذا يعتبر الفندق سوقًا لبيع السلع والبضائع إلى كونه بيتًا يؤوي النزلاء التابعين له، وأن ملكيتها ترجع إلى الدولة المضيفة مع إعطاء بعض الامتيازات والصلاحيات لهم، وإلى جانب ذلك فإن للفنادق حصانة لا يمكن التعدي عليها وانتهاكها لأي سبب كان، وإن وجدت هذه التعديات فيُعلم القنصل أو أمين الفندق لأنها كانت تخضع لحصانة ورعاية السلطات الإسلامية (جبار، 2010، ص87).

وكما أن العهد المرابطي في المغرب والأندلس أولى عناية خاصة للمؤسسات والمرافق التجارية، المتمثلة في الأسواق والفنادق، ولأن الأخيرة لعبت دورًا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية على وجه التحديد بالمغرب، ولكثرة نزول التجار وبقائهم فترة طويلة وجب على السلطات بناء العديد من الفنادق في مختلف المدن المغاربية (البياتي، 2004، ص76).

وعلى ضوء ذلك ازدهرت التجارة الناتجة عن فرض القوة السياسية والعسكرية، وتوفير الأمن والاستقرار من الجانبين البري والبحري، أدى ذلك إلى فتح الطرق والمسالك مع العالم الخارجي، فضلا عن التطور الداخلي في مدن الغرب الإسلامي مثل سبتة وطنجة ...إلخ، التي كانت موانيها تستقطب مختلف أنواع التجارة، وهي بدورها تشحنها برًّا إلى مناطق ومدن الدواخل، ومما لا شك فيه أن رقي التجارة الداخلية، سواء في المغرب والأندلس واكتظاظ الفنادق والأسواق بمختلف المنتوجات؛ قد أثر في التجارة الخارجية، وقد ساعدت أيضًا سيطرة المرابطين على أجزاء واسعة وضمها إلى دولتهم، إضافة إلى وجود سلطة مركزية اهتمت بالتجارة البحرية وحمايتها.

ومن هذا المنطلق، فإن القوة البحرية للمرابطين قد أسهمت في تأمين وحماية الموانئ المغاربية والأندلسية، وحماية الطرق البرية المؤدية إليها، كل ذلك يسّر حركة الترحال بين

الموانئ، وانعكس إيجابًا على تطور وتنشيط الحركة التجارية على المستويين الداخلي والخارجي.

أما عن الأندلس، فكانت بها أسواق تجارية وفنادق ومخازن للبضائع، وكلها مجهزة لاستقبال المسافرين من تجار وغيرهم، وتتخذ الأسواق مكانًا بجانب المساجد، فمثلا سوق أو رحبة الأعظم في مدينة غرناطة توفر به مختلف أنواع السلع (العمري، د.ت، ص106) كما قدّم الإدريسي وصفًا عند انتشار المنشآت التجارية في الأندلس فذكر أن شوارعها ممتلئة بالأسواق والدكاكين والمساجد، وأن كل مدينة فيها ما يسد حاجتها الاقتصادية، متمثلة في الأسواق والفنادق والحمامات، فضلا عن الصناعات والمنسوجات (الإدريسي، 1836، ص28) ويحدد الزهري وقوع هذه المؤسسات في الوادي الكبير (الزهري، د.ت، ص139 .140) وقد أخذت مدينة غرناطة في الاهتمام بالنشاط التجاري خاصة في العهد المرابطي والموحدي، وكثر القاصدون من التجار، ما أدى إلى زيادة الفنادق ومن تلك الفنادق على سبيل المثال: فندق رايده، والجديد، والجنين، والسلطان (العبادي،1997، ص285) ومدينة قرطبة التي اشتهرت بفنادقها وخاناتها وأصبحت قبلة للتجار، فجعل في كل سوق فندق يأوي التجار وبضائعهم (الإدريسي، 1836، ص208).

ومن المعلوم بأن كثرة الأسواق والحوانيت ينتج عنها زيادة عدد الفنادق والخانات، فكان بنائها متراصفًا في مساحة شاسعة، تطورت بعد ذلك وتحولت إلى مخازن إضافة إلى فناء داخلي لإقامة التجار في الطابق العلوي، بينما كانت البضائع تخزن في الطابق الأرضي (كنستيل، 2002، ص189).

ومدينة مالقة الأندلسية عرفت بالتبادل التجاري سواء على المستوى الداخل أم مع البلدان البعيدة عن طريق البحر، كما اشتهرت بالصناعة فقصدها التجار، وتعددت فيها الفنادق والخانات لاستقبالهم والاهتمام بهم (الحميري، 1984، ص517).

كما عرفت عدة مدن أندلسية بفنادقها واشتهرت بتجارة سلع معينة، مثل مدينة اشبيلية التي اشتهرت بتجارة الزيت والقطن حتى امتلأت بها الأسواق والخانات (كنستيل، 2002، ص189) ويصفها الإدريسي بقوله:" مدينة إشبيلية... أهلها تجار بالزيت يتجهز فيها إلى أقصى المشرق والمغرب" (الإدريسي،1836، ص178) كما يمكن القول أن أي مدينة أو دولة تزدهر فيها الحركة التجارية وجب أن تكثر فيها الفنادق.

وقد شهدت العديد من المدن الأندلسية نشاطات ومنشآت تجارية متنوعة، ويطلعنا الرحالة التطيلي عن الفنادق التي اختص بها التجار المسيحيين، بأن الدول التي كانت على علاقة مع دول أخرى سعت في بناء فنادق تكون خاصة لرعاياها، وحدد أن هناك ثماني عشرة دولة كانت قد تعاملت مع الإسكندرية، خصص لكل منها فندق في الثغر (التطيلي، 2002،ص115) وفي هذا الصدد ينتقده (Heyde) ولم يوافق الرحالة على ما ذكره في إحصائيته، وبيّن أن البنادقة كانوا في الثغر ويشرف على شؤونهم رئيس

أو قنصل، وكان في المكان الذي يستوطنه هؤلاء العديد من الخانات والفنادق والكنائس (Heyde,1938,P183) .

ومهما يكن من أمر في هذا الاختلاف، فالواقع يقول بأن هناك فنادق خصصت للتجار الغرباء، وسميت بأسماء الجاليات التي تسكنها، ولهم ما يمثلهم أمام السلطة الإسلامية بما عرف بأمين الفندق أو الرئيس، فكيف يكون ذلك إذا كان الفندق ملكا لدول تلك الجاليات، وتنطوي وجهة النظر التي أدى بها التطيلي إلى البعد عن الحقيقة، وعارية عن الصحة، وتماشيًا مع ما تم ذكره بالخصوص وما أدلت به المصادر التاريخية والجغرافية بامتلاك الفنادق والخانات للدولة دون غيرها.

## 6. الوظائف الخدمية للفنادق:

بعد أن بيّنا دور الفنادق والخانات كمؤسسة مدنية وأهميتها داخل الدولة الإسلامية، لما لها من انعكاسات على مختلف النواحي ولا سيما الاقتصادية منها، فكان لابد من وجود تنظيمات وتشريعات لتسيير الخدمات داخلها، لتفادي أي إشكالية قد تقع بين النزلاء أو العاملين بها.

ونتيجة لتقدم التواصل التجاري بين الدولة الإسلامية والغرب المسيحي فدعت الحاجة إلى تأسيس نظام خدمي ينظم العمليات التجارية، المتمثلة في الحمال والكيال والبريدي والسمسار وغيرها (أبو شامة ،1997، ص9).

وما تجدر الإشارة إليه أن المدن الشامية التي كانت تحت سيطرة الفرنج؛ وجد بها عدد من المدونين ليقوموا بتوثيق الاتفاقيات بين التجار، وكانت اللغتان الإيطالية والفرنسية تستخدمان في ذلك، وربما يكون من أولئك شخص يترجم إلى اللغة العربية، لأن الجاليات الأجنبية قد سكنت بلاد الشام لفترة طويلة، وهذه المهنة جاءت لتسهيل الإجراءات واستلام وتسليم البضائع، ودفع ما عليها من الضرائب (ابن جبير، د.ت، ص287).

وعلى هذا الأساس أصبح الموثق والمترجم والمشرف الفندقي والتجار حلقة واحدة، هذا من جهة والسلطة الإسلامية من جهة أخرى، وكما أن التجار المسيحيين يستشيرون السماسرة الذين لهم دراية كبيرة في البيع والشراء وأماكن لتسويق بضائعهم، وكل ذلك يحدث بمقابل مادي (لبيب، 1986، ص295) إضافة إلى فئة الحمالين التي كانت أساسًا في نقل البضائع المتبادلة بين التجار، وكان لها دور في انتظام العمل داخل الأسواق والفنادق، أما عن وظيفة البريدي فهي إيصال خطابات التجار إلى البلدان والمناطق الأخرى، وذلك في وقت معين (لبيب، 1986، ص295).

ومن الأعمال التي يقدمها الفندق ما يعرف بأعمال الصيرفة (الصرافة) وهي تحويل العملات واستبدالها التي جاء بها التجار الأوروبيون إلى بلاد الشام ومصر (الطشاني، 2012، ص64) كما عرف أيضًا نظام الدفتر في تسجيل البضائع المباعة في دفاتر، وتنقل بعد ذلك في حساباتهم (فهمي،1973، ص345).

وتطور الأمر في التواصل التجاري ما بين المسلمين والمسيحيين واستخدموا نظام (الحوالات) أو ما يعرف بالسند

المالي، وهي التحويل للغير دون استخدام العملة – وهي الطريقة الحديثة المستخدمة في وقتنا الحالي- واشتهرت هذه الطريقة بنشاط الحركة التجارية بين الطرفين زمن الحروب الصليبية، فميزة هذه الطريقة حفظ المال من السرقة والضياع، وفيها يكون التاجر في أمان بحصوله على سند رسمي موثق بالمبلغ المدفوع، ويستطيع التجار الحصول على القيمة المالية بعد ذلك (فهمي،1973، ص347).

وإلى جانب ذلك كان نظام المقارضة موجود بين التجار المسلمين، فأشار ابن جبير بقوله: "...من مياسر التجار وكيرائهم وأغنيائهم المنغمسين في الثراء تجارتهما ... لهما الأمناء من المقارضين قدرهما عند أمراء المسلمين والإفرنجيين خطير" (ابن جبير، د.ت، ص253).

بالإضافة إلى ما تقدم فإن الفنادق والخانات كان يوجد بها مكان خاص بحفظ الأموال وغيرها، فهي بمثابة البنك أو المصرف في وقتنا المعاصر، وبها نظام صارم فلم يسمح برد الأمانات إلا للشخص الذي أودعها مهما كان الأمر؛ فيخبرنا ابن الجوزي عن قصة رجل قد باع متاعه بألف دينار وأودع القيمة في خان أنبار في بغداد، وأراد مملوكه سرقة المال فأتى إلى صاحب الخان يسأله مال سيده، فامتنع عن تسليمه المال إلا بوجود صاحبه (ابن الجوزي، 1992، ص285) يستفاد من ذلك قوة النظام المصرفي داخل الفندق وتأمين أملاك النزلاء وحرصهم على تطبيق القوانين دون تهاون. كما يوجد مكان في الفنادق والخانات مخصص لتطبيق العقوبات أو بمعنى آخر (سجن) ضد بعض التجار الذين قاموا بأخطاء أو اعتداء على النزلاء أو الموظفين به (Latrie,1886,P169).

وبالرغم من أن التجار يكونون من جالية واحدة – كما ذكرنا سابقًا- إلا أن العلاقات التجارية يبدو أنها لا تخلو من الإشكاليات والخلافات والتضاربات بين التجار أنفسهم، نتيجة التعامل المباشر اليومي في مكان واحد، كل منهم يسعى إلى تحقيق مصالحه الشخصية، فربما هذا الاحتكاك يولد التصادم والتنازع، مما يضطر أمين الفندق إلى تطبيق العقوبات عليه، كما طبقت العقوبات على من يقوم بسرقة البضائع من المخازن سواء من التجار أو من أشخاص آخرين؛ هذا الأمر يتطلب وجود مؤسسة عقابية تردع كل المخالفين، ومن جهة أخرى حتى تسير العملية التجارية في الفنادق بشكلها الصحيح وطمأنة التجار على ممتلكاتهم وذلك بمحاسبة المخالفين وردعهم.

## 7. النتائج

بعد استعراض هذا الموضوع (الفنادق ودورها في الدولة الإسلامية)، تم التوصل إلى جملة من النتائج التالية:

- تبيّن من خلال البحث أن مؤسسة الفنادق على اختلاف مسمياتها هي مؤسسة متوسطية لها روابط مشتركة، فلم تكن مكانًا للإقامة فحسب بل كانت مكانًا للتجارة ومخزنًا للبضائع ومقرًا لتسديد الضرائب، وسجنًا لتنفيذ العقوبات.

- يجد المسافر في العصر الوسيط فندقًا في أغلب المدن المجاورة للبحر المتوسط، مثل البندقية وجنوة ودمشق وبرشلونة وإشبيلية والإسكندرية وغيرها.
- اختلفت تسمية الفندق في البلدان البعيدة عن البحر في العصر الوسيط ولكنها كانت تحمل نفس الوظائف.
- كشف البحث عن الظروف وأدوات نقل الكلمات والابتكار، فهي لا تنتقل بمفردها من مكان لآخر، وإنما نقلت وتمت استعارتها وأقلمتها من قبل الشعوب التي وجدتها صالحة للاستعمال، كما وضح أيضًا أن المؤسسة لا تظل على قيد الحياة في نفس المنطقة في ظل الصراعات والتقلبات السياسية والثقافية إلا إذا كانت ملائمة وناجحة.
- يعد الاتصال بين الجانبين الإسلامي والمسيحي اتصالا بين ثقافتين مختلفتين ساد بينهما روح التسامح الذي أوصى به الإسلام، وقبوله التعايش مع مختلف السلالات والثقافات.
- أصبحت الفنادق والخانات في الفترة الوسيطة من المعالم البارزة والتي لها أبعاد اجتماعية، فالتقاء الناس بمختلف ثقافاتهم وجنسياتهم ساهم في توطيد أواصر التبادل الثقافي والفكري فضلا عن التجاري لما تقام فيه من أنشطة البيع والشراء، وتبادل السلع، وهذا يعزز الحركة التجارية والاقتصادية بين البلدان.
- ومن الناحية الفكرية كانت مراكز حيوية لالتقاء طلاب العلم والعلماء والرحالة، للتدارس والإقامة بها، وبعضها خصص حجرات للطلاب لتوفير سبل الراحة لهم، إضافة إلى نقل الأفكار والعادات بين الشعوب المختلفة، وهذا يعد أثر تاريخي، ساهم بنائها في تكوين البيئة الحضارية بالمدن الإسلامية.

## تضارب المصالح

يُقرّ الباحث بعدم وجود تضارب في المصالح.

## استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي

يقرّ الباحث بأنه لم يستعن بأدوات الذكاء الاصطناعي في أي جزء من أجزاء هذا البحث.

## المراجع:

### أولا: المراجع العربية:

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج.(1992).*المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*.(مج 5,و10 ,12). دار الكتب العلمية.

ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي.(د.ت). *رحلة ابن جبير*. دار ومكتبة الهلال.

ابن حوقل، محمد البغدادي.(1938). *صورة الأرض*. دار صادر.

ابن سعد.(1990). *الطبقات الكبرى*. دار الكتب العلمية .

ابن عذاري، أبو عبدالله محمد. (1983) *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*.(مج2) دار الثقافة.

ابن عساكر، أبو القاسم علي.(1995). *تاريخ مدينة دمشق*. (مج 2).دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ.(1980).*البداية والنهاية*.(مج 5 ، 13).مكتبة المعارف.

ابن منظور، محمد بن مكرم.(1993). *لسان العرب*.(مج 10) دار صادر.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين.(1997). *الروضتين في أخبار الدولتين*. مؤسسة الرسالة.

أبو مصطفى، كمال السيد.(1996). *جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي*. مركز الإسكندرية للكتاب.

الإدريسي، محمد بن محمد. (1823). نزهة *المشتاق في اختراق الآفاق*. مطبعة بريل.

البراوي، راشد.(1958).*حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين*. النهضة المصرية.

البلاذري، أحمد بن يحي (1988).*فتوح البلدان*. دار ومكتبة الهلال.

البياتي، بن علي محمد.(2004). *النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-9هـ/5-11م)*. رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي. جامعة بغداد.

جبار، ناصر.(2010). *فنادق التجار المسيحيين في الدولة الحفصية*. جامعة الأمير عبدالقادر.

الحميري، محمد بن عبدالمنعم.(1980). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. مؤسسة ناصر للثقافة.

حياوي، فراس سليم.(2008). *الصلات التجارية بين بلاد الشام والمدن الإيطالية (570-698م /1174-1250م)*. كلية التربية. جامعة بابل.

ديورانت، دل وايريل.(2012). *قصة الحضارة*. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

ديوفيسيوس، اجيوس ورديتشار، هيتشكوك. (2009). *التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى*. عين للدراسات والبحوث.

الذهبي، شمس الدين محمد.(1985). *سير أعلام النبلاء*. مؤسسة الرسالة.

الزهري، محمد بن أبي بكر.(د.ت). *الجعرافية*. مكتبة الثقافة.

سعيد، عبدالفتاح عاشور.(1963). *الحركة الصليبية*. مكتبة الأنجلو المصرية.

سليمان، أحمد السعيد. (1979). *تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل*.(مج13). دار المعارف13.

الضلاعين، مروان عاطف.(2012). *السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م)*. المجلة الأردنية للتاريخ والآثار. العدد 2.

الطشاني، محمد عبدالرحيم. (2012). *العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام (490-690هـ /1096-1291م*. رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة بنغازي.

العبادي، أحمد مختار.(1997). *مظاهر الحضارة في الأندلس* مؤسسة شباب الجامعة.

العمري، ابن فضل الله شهاب الدين. (د.ت). *وصف أفريقية والمغرب والأندلس*.

الفراهيدي، أبو عبدالرحمن خليل.(د.ت). *العين*.(مج5). دار ومكتبة الهلال.

فهمي، زكي نعيم. (1973).*طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب*. دار العصور الوسطى. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب.(2005). *القاموس المحيط*. مؤسسة الرسالة والطباعة.

القلقشندي، أحمد بن علي.(1987). *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. (ج14). دار الكتب العلمية.

كنستيل، أوليفيا.(2002). *التجارة والتجار في الأندلس*. مكتبة عبيكان.

لبيب، صبحي.(1986). *الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية قانونية*. الهيئة المصرية للكتاب.

ماجد، عبدالمنعم.(1964). *نظم دولة سلاطين المماليك*. (ج1).

محمد، برهان نزار.(1986). *عمارة وتخطيط الخانات العراقية*. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بغداد.

مصطفى، وجيه مصطفى.(2021). *الإسكندرية بعيون يهودية زمن الدولة المملوكية، دراسات استشراقية*، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. (العدد26).

المقريزي، تقي الدين أحمد.(د.ت). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*.(مج2).الهيئة العامة لعصور الثقافة.

## ثانيا: المراجع اللاتينية:

Condor.C, R. (1897). *The Latin Kingdome of Jerusalem*. London.

Heyde,W. (1936). *Histoire du Commerce du Levant an Moge age*. Vol 2.3.

Kammere,A.(1935). *le mer Rouge l'Abyssine et l'Arabie de puis l'antiquite, memoires de le societe Royale de Geographie d'Egyptye*. Tom2. vol 15.

Larousse. (1973). *Petit Larousse illustre'*. Librairie larousse.

Louis de Mas Latrie. (1886). *Relatious et commerce de l'Afrique Septentrionale on Maghreb avec les nations chretiennes au moyen age* .Paris.

Michele Amari. (1863). *l Diplomi arabi dgli archivio Fiorontino*. Florence.

**Citation:** Elmasoudi, M.M., (2025). Hotels and their role in the Islamic State During the Middle Ages. *Faculty of Arts Journal- Misurata University*.20, 305 -325 .https;//doi.org/10.36602/faj.2025.n20.19

# Hotels and Their Role in the Islamic State During the Middle Ages: A Historical Study

***Mohammed Mohammed Elmasoudi**

Misurata University, Faculty of Arts, Department of History, Libya

*Email: Mohamed.elmasoudi83@gmail.com

**Received** 19- 08 - 2025 **Accepted** 13- 09 - 2025 **Published Online** 17- 09 - 2025

## Abstract

The Islamic state has witnessed, since its early beginnings, interest in the civil aspects, represented in the architecture of civil institutions due to their dimensions at all levels within the Islamic society, including the establishment and development of hotels. The study is concerned with the services provided by these institutions with their various names to travelers and merchants, and highlighting the role of the functions related to them. The study aims to know the hotel institutions in the process of commercial communication between Muslims themselves and the Christian West. This communication has contributed to facilitating the task of merchants and organizing trade within the Islamic state, in addition to its repercussions on the social, cultural and intellectual dimensions. What indicates the success of this institution is its continuity in the face of conflicts and fluctuations, in this research, I relied on the historical approach based on interrogating and analyzing texts to reach the desired results. The most prominent of these is that the hotel institution, despite its different names, is a Mediterranean institution with common links between accommodation and trade. The word hotel or inn is merely a difference in name, but it carries the same functions. It has become one of the prominent landmarks with social dimensions, as it brings together people of different cultures and nationalities. This is considered a historical impact in shaping the civilized environment in Islamic cities.

**Key words:** *Hotels, inns, Islamic State, trade.*

This work is licensed under CC BY-4.0